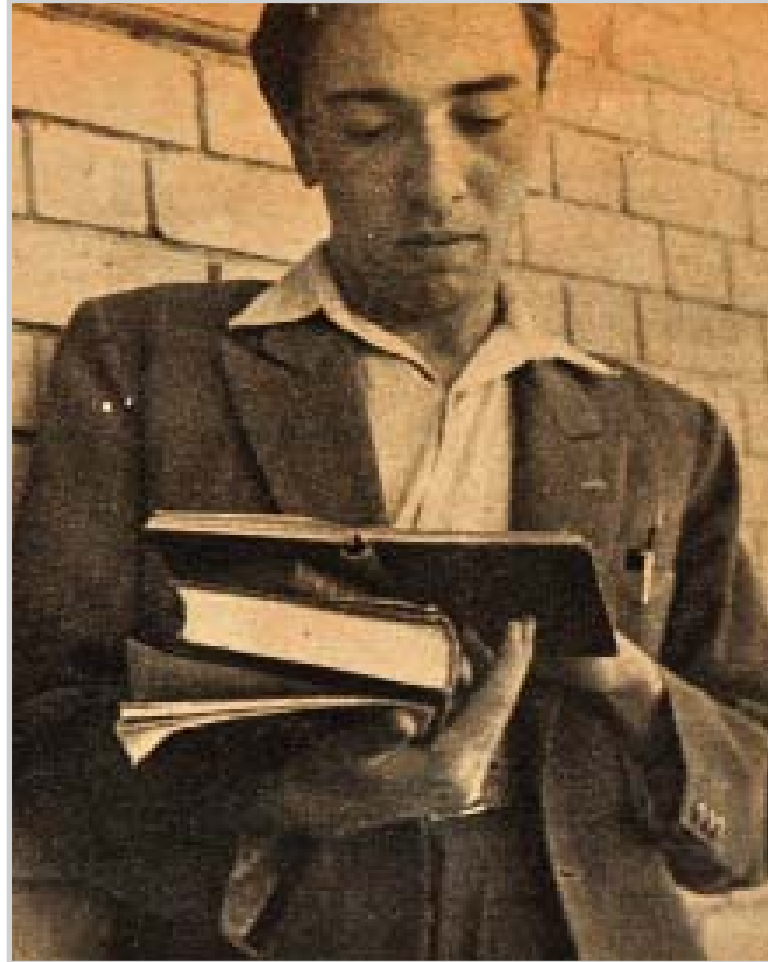


في ذكرى رحيل نازك الملائكة

أسرة الملائكة

منذ البدء، وما ان طرق سمعي اسم نازك الملائكة او وقع نظري للمرة الاولى على اسمها، حتى كان لقبها موضع اهتمامي وانبهاري بجماله. وتعلي كنت في المرحلة المتوسطة من الدراسة عندما اهدت لي إدارة مدرستي كتاب «انشودة المجد» وهو ديوان شعر ام نزار الملائكة، التي علمت فيما بعد انها والدة نازك الملائكة، الشاعرة الكبيرة، وعلمت كذلك ان اسماء اخرى من هذه الاسرة البغدادية الكريمة لها حضورها الفاعل في المشهد الادبي في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. غير ان ريادة مدرسة الشعر العربي الحديث، جعل من اسم نازك يطفئ على اسماء مبدعة في هذه الاسرة، وعندما اخترت المتية، حياة نازك الملائكة في العشرين من حزيران ٢٠٠٧

رفعة عبد الرزاق محمد



نزار الملائكة

طلعت على القراء العشرات من المقالات والدراسات عن هذه الابدية الكبيرة التي يفتنر اسمها و بدر شاكر السياب مع أنبثاق حركة الشعر العربي الحديث. وقد عالجت تلك المقالات جوانب كثيرة من السيرة الابداعية لنازك الملائكة، غير ان احدا لم يكتب عن (المنجم) الذي استقت منه نازك معرفتها وولوجها المشهد الأدبي، وهو اسرتها الابدية الكبيرة، وطالما اكدت الملائكة في الكثير من المواضع دور اسرتها في توجيهها الأدبي، مما يجعل الحديث عن هذه الاسرة من الواجبات الأدبية بل الاجتماعية. وهذا ما دفعنا الى اعداد هذا المقال السريع اعتمادا على ما كتبه نازك الملائكة عنها، ومقدمة ديوان والبتها سليمة عبد الرزاق (ام نزار) وكتاب الدكتور حياة شرارة عن نازك. وما اخبرني به الدكتور جميل الملائكة وهو خال نازك الملائكة.

تذكر مصادر هذه الاسرة انها تنتمي نسبا الى ملوك الحيرة قبل الاسلام، بل انها تؤكد انها من نزاري النعمان بن المنذر بن ماء السماء، من ملوك المناذرة من اللخمين في الحيرة، فهو الجد الاقدم للملائكة، وبقيت تلك الارومة في الحيرة قرونا عديدة. وبرز في شجرة الذي يطلق على الاسر التجارية الكبيرة سنة ١٥٥٠م الذي ترك الحيرة وتوجه الى مدينة الكاظمية واستقر فيها. وفي محلة (القطافة) فيها.

وفي عام ١٧٦٠م صدر فرمان سلطاني بمنح لقب (الجلبي) لهذه الاسرة اللخمية. وكان الحاج محمد الجلبي اول من تلقب بهذا اللقب. واستمرت الاسرة بهذا اللقب الرفيع، وهو الذي يطلق على الاسر التجارية الكبيرة التي لها صلة طيبة بالدولة بشكل او باخر. حتى مطلع القرن العشرين عندما تخلى بعض افراد الاسرة عن هذا اللقب. وبسبب العمل التجاري، انتقلت اسرة (الجلبي) الى مدينة بغداد واستقرت في محلة «العاقولية»، وابتنت لها دارا واسعة وتديرته حتى اوائل الثلاثينيات من القرن العشرين.

وتذكر الاسرة ان جعفر الجلبي ابو صادق الملائكة هو اول من تلقب بالملائكة وترك لقب الجلبي وحذا حذوه اخوته وابناء اثنين من اعمامه هما عبد الرزاق الجلبي وعيسى الجلبي، وهذا اللقب الجميل اطلق على هذه الاسرة الشاعر العراقي الكبير عبد الباقي العمري، وكان يسكن قريبا من بيت الجلبي في محلة العاقولية، وشاعت التسمية الجديدة بين الناس.

تذكر الدكتورة حياة شرارة: عرف آل الجلبي في العاقولية بتقواهم

وحسن جبرتهم كان الاء لا يسمحون لأولادهم الصغار بأن يلعبوا في الشارع او يصدر عنهم تصرف سيئ او تطاول او كلام منكر او كذب، وكانوا لا يخرجون من البيت الا للذهاب الى المدرسة او لزيارة الأقرباء بصحبة نويهم. وعندما شبوا عن الطوق ظلت القواعد الاخلاقية الصارمة ملزمة للجميع ومن يخرج عليها يتعرض للحساب، بل للعقاب ايضا. حدث ذات مرة ان ذهب صادق الملائكة (والد نازك) الى دعوة عرس بدلا من أبيه باعتباره الأبن الأكبر له، وتأخر حتى الساعة الثامنة مساء تقريبا. وعندما رجع الى البيت لم يأذن له ابوه جعفر الجلبي بالدخول لانه جاء بعده وكان عليه ان يكون موجودا قبله. وتوسط له اعمامه ليسامحه على شططه.

وكانت التربية المتشددة تسري على جميع افراد البيت رجلا ونساء وعليهم ان لا يجديوا عنها.

وفتح عن ذلك ظهور نوع من السلوك يختلف عما هو مألوف في الدور المجاورة. زد على ذلك أن الروح الدينية كانت قوية التغلغل في نفوس ابنته مما كان له اثره في تصرفاتهم ومعاملتهم للناس بالحسنى والقوى. وكان اجتماع هذه الصفات كلها فيهم موضع تعجب الناس فأطلق عليهم جارهم الشاعر عبد الباقي العمري تسمية بيت الملائكة وشاعت بين الناس فأخذ جيرانهم يسمونهم بها ايضا.

للأدب جاءت عن طريق ابياها وامها، غير ان كتابا بأسم «العربية الحديثة» وهو من الكتب المدرسية من تأليف الشيخ محمد بهجة الاثري، كان له الأثر الكبير في هذا العشق، ففيه قصيدتان للشاعر خير الدين الزركلي، وهما من الشعر الحديث، كانا قد اثارا انتباهها.

كان صادق جعفر الملائكة، ادبيا معروفا، عمل مدرسا للغة العربية وادابها في المدرسة الجعفرية والثانوية المركزية، وطبع له كتاب «نو الفكاهة في التاريخ، وعمل في العقدين الاخيرين من عمره بتأليف ما سماه «دائرة معارف الناس» بقي مخطوطا لدى الأسرة، وقد فجع عام ١٩٥٣ بموت أبيه وزوجته، وبقيت نكراهما تثير شجونه حتى وفاته في ٧ مايس ١٩٦٩. وكان قد تزوج ابنة عمه سليمان عبد الرزاق الملائكة سنة ١٩٢١، واتجبت له خمس بنات ونكرين اثنتين. وهم: نازك، احسان، سعاد، نزار، عصام، لبنى.

وام نازك، سليمة عبد الرزاق الملائكة تنحدر من جهة الأم، من اسرة بغدادية شهيرة، هي اسرة كبة، فالشيخ محمد حسن كبة هو جد والدة نازك وكان ابوه الحاج محمد صالح كبة من الأثرياء وعמיד بيت تجاري عريق، يتصل نسبه بقبيلة (ربيعية)، وقد حفظ لنا تاريخ الأدب العراقي في القرن التاسع عشر الشيء الجزيل عن دور مجلس آل كبة الادبي، ومن تلك المحفوظات كتاب السيد حيدر الحلبي «العقد المفضل» الذي عرض فيه شخصية الحاج محمد حسن كبة، ونماذج كثيرة من شعره، ومن مآثره الادبية عندما كان شابا يمارس العمل التجاري مع أخيه الحاج مصطفى كبة، فقد رغب في اداء فريضة الحج سنة ١٨٧٥، ولما عاد من الديار المقدسة، حمل معه ارجوزة شعرية باسم «الرحلة المكية» سجل فيها مشاهداته وما وقع له في تلك الرحلة، ولم تنشر هذه الرحلة منطقة (ابو قلام) في الكراوة الشرقية، وبقي دار العاقولية قائما الى سنة ١٩٣٩ حيث استملكته الدولة قبل سنة وهدمته. وأصبح قسما منه ضمن شارع الامين وتقع عمارة سامي سعد الدين صاحب (الصيدلية الاسلامية) على بقاياها، والرزاق لم يزل موجودا الى يومنا هذا. وتذكر مصادر الاسرة ان هذا البيت اشتراه احد اجداد الاسرة عند مجيئه من الكاظمية الى بغداد، وهو الجد الخامس الحاج علي بن الحاج محمد الجلبي، وبعثته له فاطمة خاتم ابنة حسن باشا والي بغداد الشهير في القرن الثامن عشر، وهي عمه عائلة خاتون الشخصية الشهيرة في تاريخ العراق في عهد المماليك. وفي كتاب «بغداد» الذي طبع على نفقة مؤسسة كولنكيان واشرف عليه المهندس محمد مكية رسوم جدارية للفرقة التي ولدت فيها نازك الملائكة وصورة لسقوف غرفة عم ابياها عيسى الجلبي، ولم يذهب الى البيت الجديد في الكراوة الشرقية مع اسرة نازك سوى عمه صادق الملائكة وزوجته معا، وتدعى فاطمة. وبقيت هذه تساعد في ادارة البيت وتربية الابناء، ان لم تتزوج وعانت البتم مبكرا، وتوفيت عام ١٩٤٨. ولها اخت متزوجة من احد رجال اسرة اللوس.

تكرت نازك الملائكة مرارا ان بداية عشقها لزوجها نازك الملائكة، سجل فيها مشاهداته وما وقع له في تلك الرحلة، ولم تنشر هذه الرحلة منطقة (ابو قلام) في الكراوة الشرقية، وبقي دار العاقولية قائما الى سنة ١٩٣٩ حيث استملكته الدولة قبل سنة وهدمته. وأصبح قسما منه ضمن شارع الامين وتقع عمارة سامي سعد الدين صاحب (الصيدلية الاسلامية) على بقاياها، والرزاق لم يزل موجودا الى يومنا هذا. وتذكر مصادر الاسرة ان هذا البيت اشتراه احد اجداد الاسرة عند مجيئه من الكاظمية الى بغداد، وهو الجد الخامس الحاج علي بن الحاج محمد الجلبي، وبعثته له فاطمة خاتم ابنة حسن باشا والي بغداد الشهير في القرن الثامن عشر، وهي عمه عائلة خاتون الشخصية الشهيرة في تاريخ العراق في عهد المماليك. وفي كتاب «بغداد» الذي طبع على نفقة مؤسسة كولنكيان واشرف عليه المهندس محمد مكية رسوم جدارية للفرقة التي ولدت فيها نازك الملائكة وصورة لسقوف غرفة عم ابياها عيسى الجلبي، ولم يذهب الى البيت الجديد في الكراوة الشرقية مع اسرة نازك سوى عمه صادق الملائكة وزوجته معا، وتدعى فاطمة. وبقيت هذه تساعد في ادارة البيت وتربية الابناء، ان لم تتزوج وعانت البتم مبكرا، وتوفيت عام ١٩٤٨. ولها اخت متزوجة من احد رجال اسرة اللوس.

تكرت نازك الملائكة مرارا ان بداية عشقها لزوجها نازك الملائكة، سجل فيها مشاهداته وما وقع له في تلك الرحلة، ولم تنشر هذه الرحلة منطقة (ابو قلام) في الكراوة الشرقية، وبقيت هذه تساعد في ادارة البيت وتربية الابناء، ان لم تتزوج وعانت البتم مبكرا، وتوفيت عام ١٩٤٨. ولها اخت متزوجة من احد رجال اسرة اللوس.

تكرت نازك الملائكة مرارا ان بداية عشقها لزوجها نازك الملائكة، سجل فيها مشاهداته وما وقع له في تلك الرحلة، ولم تنشر هذه الرحلة منطقة (ابو قلام) في الكراوة الشرقية، وبقيت هذه تساعد في ادارة البيت وتربية الابناء، ان لم تتزوج وعانت البتم مبكرا، وتوفيت عام ١٩٤٨. ولها اخت متزوجة من احد رجال اسرة اللوس.



نازك الملائكة في صورة نادرة تنشر للمرة الاولى

وعبد الصاحب ونظمية، ثم تزوجت من اخيه عيسى الجلبي وله منها: جميل ومينر وانور. وقد ذهبت السيدة «هداية» الى الحج في جزع شديد علي من ان اصاب بانهبان ونظمت كابيتها ارجوزة لتلك الرحلة، نشرتها اثناء سبئتها مستقلة، وبقيت مخطوطتها لدى ابنة الاستاذ محمد مهدي كبة.

ويعد ان تزوج الحاج محمد حسن كبة بعد عودته من الحج، اخذ يشعر بأنه لم يخلق للعمل التجاري، واخذ يميل الى طلب العلم، فترك التجارة لأخيه مصطفى والحج بالدراسة العلمية في النجف، ولم يعرف بعدها من شعره سوى القليل، وبعد سنوات هاجر الى سامراء ولزم المرجع الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي، ثم عاد الى بغداد قبل وفاته عام ١٩١٨ بستين. وقد جمع ولده الاستاذ محمد مهدي كبة الكثير من شعره في مجموعة خطية. ولا ننسى هنا ان محمد مهدي كبة نظم الشعر في ايام شبابه قبل ان يدخل المحرك السياسي واصبح رئيسا لحزب الاستقلال احد احزاب المعارضة الوطنية في العهد الملكي ثم اصبح عضو مجلس السيادة في ثورة تموز ١٩٥٨. وتوفي عام ١٩٨٤.

وقد تكرر لي المرحوم صالح كبة ان محمد مهدي ترجم شعرا اكثر من مئة رباعية لعمر الخيام، وان نازك الملائكة كتبت مقدمة لتلك الترجمة المخطوطة.

ان السيدة «هداية» ابنة الحاج محمد حسن كبة تزوجت مرتين، الاولى من عبد الرزاق الجلبي وقد توفي شابا، ولها منه: سليمة

بالبطائرة الى بغداد، وحيدة لا رفيق لي إلا الدموع بعد ان دفنت رفيقة سفري الغالية. واستقلني اهلي يكون في المطار وكانوا في جزع شديد علي من ان اصاب بانهبان ونظمت كابيتها ارجوزة لتلك الرحلة، نشرتها اثناء سبئتها مستقلة، وبقيت مخطوطتها لدى ابنة الاستاذ محمد مهدي كبة.

ويعد ان تزوج الحاج محمد حسن كبة بعد عودته من الحج، اخذ يشعر بأنه لم يخلق للعمل التجاري، واخذ يميل الى طلب العلم، فترك التجارة لأخيه مصطفى والحج بالدراسة العلمية في النجف، ولم يعرف بعدها من شعره سوى القليل، وبعد سنوات هاجر الى سامراء ولزم المرجع الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي، ثم عاد الى بغداد قبل وفاته عام ١٩١٨ بستين. وقد جمع ولده الاستاذ محمد مهدي كبة الكثير من شعره في مجموعة خطية. ولا ننسى هنا ان محمد مهدي كبة نظم الشعر في ايام شبابه قبل ان يدخل المحرك السياسي واصبح رئيسا لحزب الاستقلال احد احزاب المعارضة الوطنية في العهد الملكي ثم اصبح عضو مجلس السيادة في ثورة تموز ١٩٥٨. وتوفي عام ١٩٨٤.

وقد تكرر لي المرحوم صالح كبة ان محمد مهدي ترجم شعرا اكثر من مئة رباعية لعمر الخيام، وان نازك الملائكة كتبت مقدمة لتلك الترجمة المخطوطة.

الشعرية الكاملة عن دار العودة ببيروت. وكانت امينتها الكبرى في الحصول على شهادة الدكتوراه، ولم يتيسر لها ذلك. وفي عام ١٩٩٢ قامت جامعة البصرة بمنحها الدكتوراه الفخرية لمكانتها الادبية الكبيرة وعملها في تأسيس الجامعة، ولم تذهب الى تسلم تلك الشهادة بسبب وضعها الصحي، كما خصصت لها الدولة راتباً تقاعدياً وقد اكمل ابنها (البراق) دراسته في جامعة الكويت ثم نال الماجستير فالدكتوراه في الولايات المتحدة الاميركية.

انتقلت نازك الملائكة الى القاهرة سنة ١٩٩٧ لتعيش وتعالج فيها بعد ان تعذر علاجها في العراق بسبب العقوبات الدولية المفروضة على العراق آنذاك. وفي عام ٢٠٠١ توفي زوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة ليزيد الصادق من اوجاعها، فتعرضت لغيبوبة طويلة مرات عديدة، في اشيع خير كاتب عن وفاتها في تسعينيات القرن المنصرم. وبقيت في القاهرة تصارع المرض حتى رحيلها الابدي في العشرين من حزيران ٢٠٠٧ في القاهرة حيث وريت الثرى فيها.

اديب وكاتب مرموق، ترجم رباعيات الخيام شعرا (١٩٥٧) وله بحوث في الدوبيت الشعري والعروض والترجمة. كما تذكر شقيقتها احسان الملائكة، المولودة ببغداد سنة ١٩٢٥. وهي مدرسة للغة العربية وادبية وناقدة تشكيلية. تزوجت من الفنان الرسام علي غالب الشعلان، ومازالت تواصل الكتابة الادبية.

تخرجت نازك الملائكة في الثانوية عام ١٩٣٦، ثم دخلت دار المعلمين العالية، وتخرجت فيها سنة ١٩٤٤، وقد وضع ابوها الايب الكاتب مكتبته الكبيرة بين يديها بعد ان وجد فيها موهبة ادبية فريدة، وهو نفس ما شعر به استاذها في دار المعلمين العالية الدكتور مصطفى جواد. وفي عام ١٩٥٧ عينت مدرسة متعددة في كلية التربية ببغداد مدرسة للتقد الأدبي والعروض على ان حصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن سنة ١٩٥٦ من احدى الجامعات الاميركية.

تزوجت نازك الملائكة سنة ١٩٦١ من زميلها في الجامعة الدكتور عبد الهادي محبوبة، ولها منه ابنها الوحيد «البراق» المولود سنة ١٩٦٢. وبعد سنتين انتقلت مع زوجها الى جامعة البصرة، ان عين الدكتور محبوبة رئيسا للجامعة. وفي عام ١٩٦٨ عاد الى كلية التربية في جامعة بغداد. وفي السنة التالية غادرا الى الكويت للتدريس في جامعتها. وفي عام ١٩٧١ صدرت مجموعتها

